

مَوْجَزُ الْكَلَامِ

عَنْ مَكَانَةِ الْمَدِينَةِ
وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ فِي الْإِسْلَامِ

رَبِيهِ فُطَيْبَةُ الْجُمُعَةِ

فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ

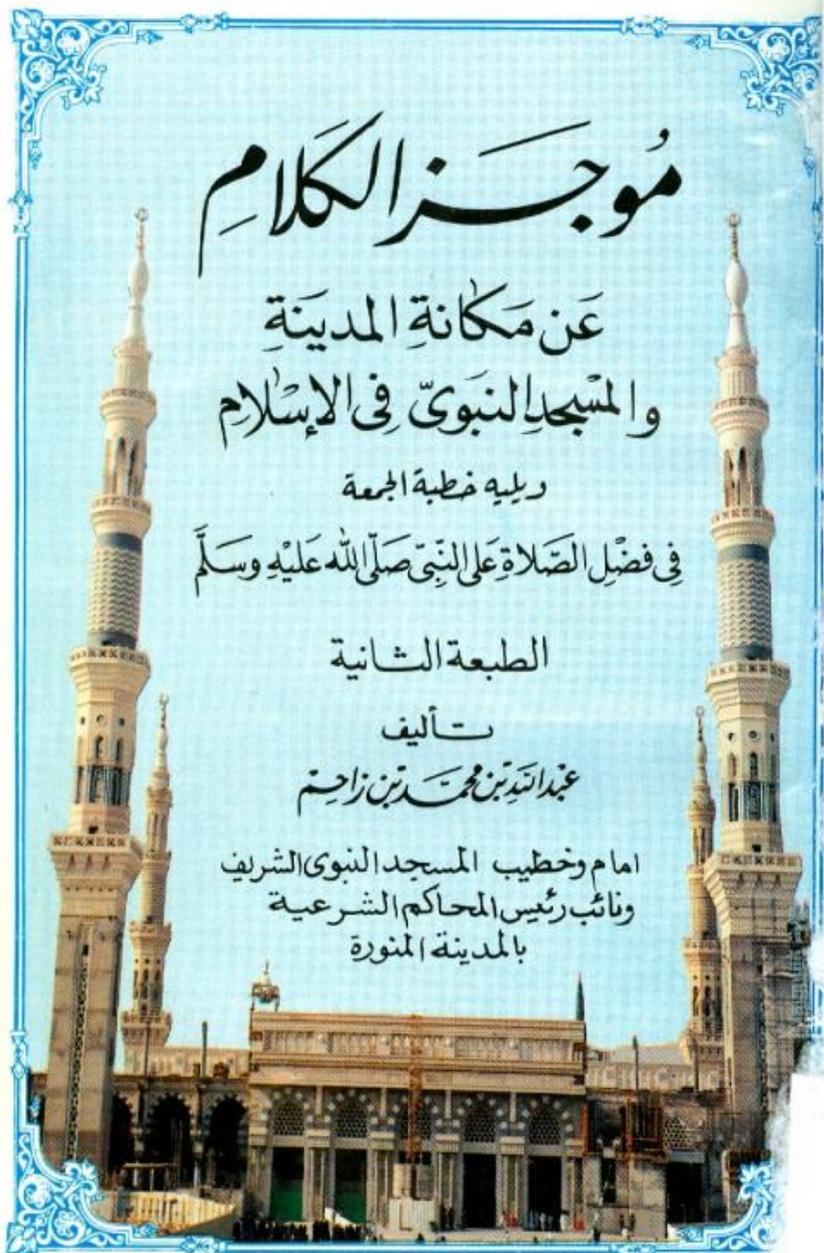
تَأَلِيفُ

عَبْدَ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَاهِمٍ

إِمَامٌ وَخَطِيبٌ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ

وَنَائِبٌ رَئِيسُ الْمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ

بِالْمَدِينَةِ الْمُنُورَةِ



مَوْجِزُ الْكَلَامِ

عَنْ مَكَانَةِ الْمَدِينَةِ وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ فِي الْإِسْلَامِ

وَلِيَّهِ خُطْبَةُ الْجُمُعَةِ

فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

تَأْلِيفُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ عَدِينٍ

إِمَامٌ وَخَطِيبُ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ
وَرَبِيسُ مَحَاكِمِ مَنْطِقَةِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. وأصلي وأسلم على سيدنا ورسولنا
محمد الأمين سيد الأولين والآخرين وبعد.

فهذه كلمات موجزة عن مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
عن شيء من حُرمتها وبعض خصوصياتها، وحراسة الله لها،
وفضل السكني بها، والموت بها. والوعيد الشديد لمن أحدث
فيها حدثاً، أو آوى محدثاً، أو آذى أهلها.

وفضيلة الصلاة في المسجد النبوي الشريف وبيان أن
الزيادات تأخذ حكم المسجد الذي كان في عهده صلى الله
عليه وسلم في جميع الأحكام وفي الأفضلية، وموجز عن
الزيادات الهامة. وبيان حكم شد الرحال إلى المسجد النبوي
الشريف.

وهي في الأصل محاضرة ألقيتها في مجلس يضم نخبة من علماء
المدينة وطلابها وأعيانها في مجلس صاحب السمو الملكي
الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة المدينة
المنورة، وأدخلت عليها بعض التعديل بالزيادة أو النقص،

وسميتها: موجز الكلام عن مكانة المدينة والمسجد النبوي في
الإسلام. أسأل الله أن ينفع بها. وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وآله وصحابه أجمعين.

المؤلف

عبد الله بن محمد بن زاحم

التعريف بالمدينة المنورة

المدينة في اللغة الحصن بيني وسط الأرض، مأخوذ من مَدَن بالمكان أي أقام به. ثم صار علماً على بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هاجر إليها، ودُفن بها عليه الصلاة والسلام تعظيماً لها، وتفخيماً؛ ولأنها صارت حصناً للإسلام والمسلمين، ودار مقام للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

فإذا أطلق اسم المدينة تبادر إلى الذهن هذه البلدة المباركة دار الهجرة النبوية قال تعالى: ((مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ))^(١) ((لَنْ يَنْ رَجَعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ))^(٢) ((وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ))^(٣) فاسم المدينة أصبح علماً على البلدة الطاهرة التي فيها مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فإذا أريد غيرها فلا بد من اضافة شيء يميز المراد: مثل: مدينة الرياض - مدينة جدة - مدينة الطائف - مدينة أبها - مدينة تبوك. وهكذا.

(١) سورة التوبة آية: رقم ١٢٠.

(٢) سورة المنافقون آية: رقم ٨.

(٣) سورة الأحزاب آية: رقم ٦٠.

كما أن البيت صار عَلَماً على الكعبة المشرفة، فإذا أُطلق اسم البيت تبادر الذهن إلى الكعبة المطهرة. كما قال تعالى ((وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ))^(١) ((وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ))^(٢) فإذا أُريد غير الكعبة فلا بد من قيد للتمييز كقوله تعالى ((وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ))^(٣).

(١) سورة الحج آية: رقم ٢٦.

(٢) سورة البقرة آية: رقم ١٢٧.

(٣) سورة الطور آية: رقم ٤.

أسماء المدينة

للمدينة عدة أسماء ذكرها بعض المؤرخين^(١) وهي المدينة، طابة، المسكينة، الجابرة، المحبة، المحبوبة، القاصمة، المجبورة، العذراء، المرحومة، طيبة.

وزاد بعضهم على ذلك وكانت تسمى في الجاهلية يثرب كما قال تعالى ((وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا))^(٢).

وكما في الحديث^(٣) الصحيح رأيت في المنام أني أهاجر إلى أرض بها نخل فذهب وهلي^(٤) إلى أنها أرض اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب، وفي حديث عائشة ذات نخل بين لا بتين، وسبب هذا الاسم قال بعض المؤرخين أول من سكنها رجل من العمالقة اسمه يثرب فسميت به.

(١) وفاء الوفا: ٨/١، وأعلام المسجد في أحكام المساجد: ٢٢٢.

(٢) سورة الأحزاب آية: رقم ١٣.

(٣) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٧٠٣٥).

(٤) وهلي: أي ظي.

وأما نزول الأوس والخزرج في المدينة فكان بعد سيل العرم،
وهما أخوان أنجبا ذينك الحيين الذين هم أنصار الله تعالى
وأنصار رسوله صلى الله عليه وسلم. مدحهم الله في القرآن
بإيمانهم وبجبههم للمهاجرين وبالكرم والإيثار فقال سبحانه:
((وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ
إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۗ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (١) وتكره تسمية المدينة: يثرب لقوله صلى
الله عليه وسلم {أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب، وهي
المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد} (٢).

(١) سورة الحشر آية: رقم ١.

(٢) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٨٢).

تحريم المدينة المنورة

المدينة دار الهجرة النبوية وحصن المسلمين وقلعة المجاهدين.
ومأرز المؤمنين ومهابط التنزيل.

ومدرسة الإيمان، ومصدر الدعوة إلى الله، وإلى شريعته،
اجتمع فيها المسلمون فألف الله بين قلوبهم فكانوا إخوة
متحابين كالجسد الواحد، وفيها مرابط خيل المجاهدين. ومرتع
رواحل الأنصار.

فمن حكّمته صلى الله عليه وسلم جعل لها حمى، وحرّمها
كما حرّم إبراهيم مكة عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة
والتسليم، لا يُقطع شجرها ولا ينقّر صيدها.

ولمّا كان ساكن هذه المدينة عليه واجبات إسلامية يجب أن
يشتغل بها مثل: العبادة وقراءة القرآن وفهم معانيه والعمل به
والاهتمام بأمور المسلمين، والدعوة إلى الله وتبليغ رسالة الله
كما أنزلها الله^(١). فلا ينبغي أن يشتغل عنها، ولا أن يلهو

(١) أي وما يساعد على ذلك من طرق الكسب.

عنها، فحرم الصفوة المطهر رسول الله صلى الله عليه وسلم صيدها وعصاها ولعن الذي يعمل فيها كبيرة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {المدينة حرم من كذا إلى كذا، لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث. من أحداث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين} (١). الحدث هنا المعصية الكبيرة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {حرم ما بين لابتي المدينة على لساني. وأتى النبي صلى الله عليه وسلم بني حارثة فقال أراكم بني حارثة فقد خرجتم من الحرم. ثم التفت فقال بل أنتم فيه} (٢).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم. المدينة حرم ما بين عائر إلى كذا من أحداث فيها حدثاً، أو

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٨٦٧).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: (١٨٦٩).

أوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل (١).

وعند مسلم من حديث علي رضي الله عنه : {المدينة حرم ما بين عَيْرٍ إلى ثور} (٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ما بين لابتيها لا يقطع عِصَاهَا ولا يصاد صيدها} (٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين لابتي المدينة. قال أبو هريرة فلو وجدت الظباء ما بين لابتيها ما ذعرتها (٤).

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٦٧٥٥).

(٢) صحيح مسلم: رقم (١٣٧٠).

(٣) صحيح مسلم: رقم (١٣٦٢).

(٤) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٨٧٣) ومسلم في الصحيح: رقم (١٣٧٢).

(٥) شرح النووي لصحيح مسلم: ١٣٥/٩

قال شراح الحديث اللابتان: الحرتان، والحرة هي الأرض التي تعلوها حجارة سوداء، وتسمى لابه. والتحرير يشمل الحرتين وما بينهما^(٥).

وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً وإني حرمت المدينة حراماً ما بين مأزميها^(١).

وروي أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ركب إلى قصره في العقيق فوجد عبداً يقطع شجراً أو يخبطه فسلبه. فلما رجع سعد جاءه أهل العبد فكلموه أن يردّ على غلامهم، أو عليهم ما أخذ من غلامهم.

فقال سعد معاذ الله أن أرد شيئاً نقلنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى أن يرد عليهم^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إني حرمت ما بين لابتي المدينة

(١) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٧٤).

(٢) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٦٤).

كما حرم إبراهيم مكة. ثم كان أبو سعيد يأخذ وقال بعضهم
- يجد في يد أحدنا الطير فيفكه من يده ثم يرسله^(١).

وعن سهيل بن حنيف قال أهوى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيده إلى المدينة فقال: {إنها حرم آمن}^(٢).

(١) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٧٤) (٤٧٨).

(٢) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٧٥).

محبة النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة وبيان فضلها

وحق لها الفضل والمحبة، فهي دار الهجرة، فخرت بصفوة الخلق صلى الله عليه وسلم وتشرفت به وبرسالته، آوت المهاجرين، وهي حصن الإسلام، ومأمن المسلمين، ومهابط الوحي ومواقع التنزيل، وفيها جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يعرف قبر نبي غير قبره عليه الصلاة والسلام. كان يجبها كثيراً، فإذا قدم إليها من سفر ورأى بنايتها أسرع إليها. حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم صيدها وحرّم قطع شجرها، وتوعّد من أحدث فيها، أو آوى محدثاً، ومن أراد أهلها سوءاً بالوعيد الشديد، إنها بقعة مطهرة تردد فيها جبريل وميكائيل وضجّت عرصاتها بالتسبيح والتقديس، وهي مصدر التشريع، ومثوى الحلال والحرام، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال، ولا زُعب المسيح الخبيث، فحقّ لها الفضل والاجلال. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي طلحة التمس لي

غلاماً من غلمانك يخدمني فخرج أبو طلحة يردفني وراءه،
فكنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل.

وقال في الحديث: ثم أقبل حتى إذا بدا له أخذ قال هذا جبل
يُجَبنا ونحبّه، فلما أشرف على المدينة قال: اللهم أني أحرم ما
بين جبلتيها مثل ما حرم به إبراهيم مكة اللهم بارك لهم في
مدهم وصاعهم رواه مسلم^(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان الناس إذا رأوا أول الثمر
جاؤوا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أخذه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: {اللهم بارك لنا في ثمرنا وبارك لنا
في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مُدنا اللهم إن
إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك. وإني عبدك ونبيك وإنه دعاك
لمكة وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك لمكة ومثله معه قال
ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمر}{^(٢).

وفي رواية {وبارك لنا في مدينتنا بركه مع بركه}.

(١) صحيح مسلم: رقم (١٣٦٨).

(٢) رواه مسلم في الصحيح: (١٣٧٣).

وهكذا المدينة ببركة دعا النبي صلى الله عليه وسلم مُيسر
رزقها، مبارك عيشها، متوفرة متطلباتها، يكفي فيها من
المصرف ما لا يكفي في غيرها.

الترغيب في سكني المدينة

المدينة لها شوقٌ وودٌّ في قلوب المؤمنين، محبة للنفوس، يأرز إليها الإيمان، وتنفي خبث الناس. بقعة مقدسة ولا غرابة في ذلك فقد قال عليه الصلاة والسلام {اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة وأشد} (١) فالمدينة منار الإسلام، ودار الهجرة، ومنطلق الدعاة والمجاهدين.

ولأهل المدينة في الجملة أخلاقٌ فاضلة متميزة؛ بلين الجانب، والرقّة في الطبع، والصدق والوفاء، والهدوء والسكينة والشفقة. وهذه أخلاقٌ إسلامية عالية، موروثه من تربية صاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وسلم، أثرت في بيئة أهل المدينة، فتناقلتها الأجيال للأجيال.

ولا ننسى حُسن أدب أهل المدينة في جوار المصطفى عليه الصلاة والسلام، والخشوع الجميل في مسجده صلى الله عليه وسلم. فلا تسمع أحداً ينادي بصوتٍ عالٍ، إنما هو الهمس، والوشوشة بأطراف اللسان.

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٥٦٧٧).

ولا شك أن هذه أخلاق فاضلة حسنة من آثار الخلق النبوي
الكريم، وأخلاق أصحابه رضي الله عنهم.

وقد وردت أحاديث صحيحة تحث على سكنى المدينة
اخترت منها أعمّها وأجمعها.

روي عن أبي سعيد مولى المهري أنه أصابهم بالمدينة جهد
وشدة، وأنه أتى أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فقال إني
كثير العيال، وقد أصابتنا شدة، فأردت أن أنقل عيالي إلى
الأرياف. فقال أبو سعيد لا تفعل إني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر أحد على لأوائها فيموت
إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة إذا كان مسلماً^(١).

وروي مثله عن عبدالله بن عمر^(٢). ومعناه والله أعلم شفيعاً
في رفع الدرجات. وشهيداً في حط السيئات.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت قدمنا المدينة
وهي وبيئة فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول

(١) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٧٤).

(٢) رواه مسلم في الصحيح: (١٣٧٧).

اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَكَوَى أَصْحَابَهُ قَالَ {اللّٰهُمَّ حَبِّبْ
إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي
صَاعِهَا وَمَدَهَا وَحَوِّلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ} (١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلَ عَمَهُ وَقَرِيْبَهُ
هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةَ خَيْرَ لَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ اللّٰهُ فِيهَا
خَيْرًا مِنْهُ إِلَّا إِنْ الْمَدِينَةَ كَالْكَبِيرِ تَخْرُجُ الْخَبِيثُ، لَا تَقُومُ السَّاعَةُ
حَتَّى تَنْفِي الْمَدِينَةَ شَرَارَهَا كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبْثَ الْحَدِيدِ} (٢).

وَعَنْ سَفْيَانَ بْنِ أَبِي زَهْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ {تُفْتَحُ الشَّامُ فَيَخْرُجُ مِنَ الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيْهِمْ يَبْسُتُونَ
وَالْمَدِينَةَ خَيْرَ لَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ثُمَّ تَفْتَحُ الْيَمَنُ فَيَخْرُجُ مِنَ
الْمَدِينَةِ قَوْمٌ بِأَهْلِيْهِمْ يَبْسُونَ وَالْمَدِينَةَ خَيْرَ لَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الصَّحِيْحِ: رَقْمٌ (٥٦٧٧).

(٢) رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيْحِ: رَقْمٌ (١٣٨١).

ثم تفتح العراق فيخرج من المدينة قوم بأهلهم ييسون^(١)
والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون^(٢)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن أعرابيا بايع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأصاب الأعرابي وعك في المدينة فأتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أقلني بيعتي فأبى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي
فأبى، ثم جاءه الثالثة فقال: أقلني بيعتي فأبى فخرج الأعرابي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إنما المدينة كالكير
تنفي خبثها وينصع طيبها}^(٣).

وعن أبي سعيد الساعدي رضي الله عنه قال كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم على قبر حمزة بن عبد المطلب
فجعلوا يجرون النمرة على وجهه فتتكشف ويجرونها على
قدميه فيتكشف وجهه. فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) البسن: سوق الأبل، ييسون بضم الباء وكسرهما.

(٢) رواه مسلم في الصحيح مسلم: رقم (١٤٨٨).

(٣) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٧٢١١).

وسلم: {اجعلوها على وجهه وأجعلوا على قدميه من هذا الشجر}. قال فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فإذا أصحابه سيكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم {إنه يأتي على الناس زمان يخرجون إلى الأرياف فيصييون منها مطعماً وملبساً ومركباً أو قال مراكب فيكتبون إلى أهلهم هلم إلينا فأثم بأرض حجازٍ جدويّةٍ والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون}{^(١).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاها أو يقتل صيدها وقال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيحاً أو شهيداً يوم القيامة}{^(٢).

(١) رواه الطبراني في الكبير: رقم (١٥٣٢٦). قال الهيثمي: رواه الطبراني

في الكبير، وإسناده حسن. مجمع الزوائد: ٣/٣٠١.

(٢) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٦٣).

قال النووي رحمه الله^(١) الأوى الشدة والجوع. وأما الجهد فهو المشقة. وتخصيص أهل المدينة بالشفاعة مع عموم شفاعته عليه الصلاة والسلام: فإن كانت أو للتقسيم فيكون صلى الله عليه وسلم شهيداً لبعض أهل المدينة وشفيعاً لبقيتهم وإما شهيداً للمطيعين، شفيعاً للعاصين، وإما شهيداً لمن مات في حياته، وشفيعاً لمن مات بعده. وهذه خصوصية لأهل المدينة زائدة عن الشفاعة للمذنبين.

وأما إن كانت أو بمعنى الواو فيكون صلى الله عليه وسلم شفيعاً وشهيداً أي يجمع لهم بين الحسنين.

قال وإذا جعلنا أو للشك فإن كانت اللفظة الصحيحة شهيداً اندفع الاعتراض؛ لأنها زائدة على الشفاعة المدخرة المجردة لغيرهم. وإن كانت اللفظة الصحيحة شفيعاً فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها، وادخارها لجميع الأمة، أن هذه شفاعة أخرى غير العامة التي هي لإخراج أمته من النار، ومعافة بعضهم منها بشفاعته صلى الله عليه وسلم في القيامة، فتكون الشفاعة الزائدة

(١) شرح صحيح مسلم للنووي: ١٥٥/٩.

لأهل المدينة في زيادة الدرجات أو تخفيف الحساب، أو بإكرامهم يوم القيامة بأنواع من الكرامات كإيوائهم إلى ظل العرش أو جعلهم في روح على منابر أو الإسراع بهم إلى الجنة أو غير ذلك مما يشاء الله والله أعلم.

وقوله عليه الصلاة والسلام لا يدعها أحد رغبة عنها الخ: هذا قيدٌ يوضح سبب الخروج المذموم، وعليه يحمل المطلق. فالذي يخرج منها متشائماً مما يجد، أو كرها للمدينة لما يحصل من اللأوى والجهد وضيق العيش وشدة المؤنة فهو الذي يدخل تحت الوعيد، أما الذي يخرج منها لعمل كولاية شرعية وإقامة العدل ورفع الظلم، مع حبه للمدينة والرغبة فيها كما حصل لبعض الصحابة رضي الله عنهم تفرقوا في البلاد. أمراء ووزراء وجنوداً ودعاة فلا يدخل تحت الوعيد؛ لأن الوعيد مقيد بمن خرج منها رغبة عنها.

حماية المدينة من الآفات

المدينة تحت رعاية الله وعنايته وحراسته، فلا يدخلها وباءٌ عامٌ مثل الطاعون، ولا يدخلها الدجال، ولا الخوف من الدجال وإنما يأمرها الله فتخرج الخبيث إلى الدجال.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال} (١).

وعنه أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة، حتى ينزل دبر أحد، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهناك يهلك} (٢).

وعن جابر بن عبد الله قال أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على فلق من أفلاق الحرة، ونحن معه فقال: {نعمت الأرض المدينة، إذا خرج الدجال، على كل نقب من أنقابها ملك لا يدخلها، فإذا كان كذلك رجفت المدينة بأهلها

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٨٨٠).

(٢) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٨٠).

ثلاث رجفاتٍ لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه. وأكثر من يخرج إليه النساء وذلك يوم التخليص^(١).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : { ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس نقب من أنقأها إلا عليه ملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق^(٢).

وفي رواية فيأتي سبخه الجرف.

عن أبي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: { لا يدخل المدينة رعب الدجال، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا عن الدجال، فكان فيما

(١) مجمع الزوائد: ٣٠٧/٢.

(٢) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٨٨١).

(٣) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٨٧٩).

حدثنا به أن قال: {يأتي الدجال وهو محرّم عليه أن يدخل أنقاب المدينة، فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس. فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرايتم أن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكّون في الأمر فيقولون لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول والله ما كنت فيك أشد بصيرة من اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه} (١).

وفي حديث ابن عمر {ألا وأنه أعور، وإن الله ليس بأعور} (٢) وفي رواية لأنس {وإن بين عينيه مكتوب كافر} (٣).

وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أن معه ماء وناراً، فناره ماء بارد. وماؤه نار (٤).

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٨٨٢).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٣٣٣٧).

(٣) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٧١٣١).

(٤) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٧١٣٠).

فضل الموت بالمدينة المنورة

روى ابن حبان في صحيحه عن الصُّمَيْتَةِ من بني ليث رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: {من استطاع منكم ألا يموت إلا في المدينة، فليئمت بها، فإنه من يموت بها نشفع له} (١)

وفي صحيح ابن حبان والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل، فإنني أشهد لمن مات بها}.

وفي رواية للبيهقي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم {من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليئمت؛ فإنه من مات بالمدينة شفعت له يوم القيامة} (٢).

(١) صحيح ابن حبان: رقم (٣٨٢٥)، والترغيب والترهيب ٢/٢٢٣.

(٢) رواه الترمذي في سننه: رقم (٣٩١٧)، وابن ماجه في سننه: رقم

(٣١١٢)، وانظر الترغيب والترهيب: ٢/٢٢٣.

وفي حديث يحيى بن سعيد أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: {ما على الأرض بقعة أحب إليّ من أن يكون قبري بها منها، ثلاث مرات} (١).

وروى البخاري رحمه الله (٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: اللهم أرزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك.

معنى أحاديث الترغيب في الموت بالمدينة. أي ملازمة سكانها والصبر على لأوائها وشدتها رجاء حسن الخاتمة فيها. ورجاء شفاعته وشهادته صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم {كنت له شهيداً أو شفيعاً} في آخر الكلام على الترغيب في سكني المدينة (٣).

واستجاب دعاء أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فمات شهيداً في بلد الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو معلوم.

(١) جامع الأصول ١٠/٢٠١.

(٢) صحيح البخاري: رقم (١٨٩٠).

(٣) تقدم في ص ٢٣.

الإيمان يعود إلى مصدره الأول

المدينة هي مركز الإيمان، ومنها خرج إلى الأقطار، وسيبقى منتشراً ما وجد قبولاً وإكراماً، فإذا أحسّ بالجفاء والتعطيل رجع إلى مصدره، كمثّل الحية تخرج من جحرها، والحية لا تخطي جحرها؛ ولأن أسمها يدل على الحياة والإيمان، حياة يحي القلوب ويحي الشعوب ويحي البلاد والاقطار.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها} (١).

قال في عمدة القاري (٢) أي يأرز أهل الإيمان. قال الملهب فيه: أن المدينة لا يأتيها إلا مؤمن وإنما يسوقه إليها إيمانه ومحبه في النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٨٧٦).

(٢) عمدة القاري: ٤٣٠/٨.

الوعيد الشديد لمن عمل في المدينة كبيرة

في المدينة أنزل التشريع وبيان الحلال والحرام. وتحريم حرمان المسلمين وحقوقهم وتحريم دمائهم وأعراضهم وأموالهم، لا يحل شيء منها إلا بطيب نفس، أو بحق الإسلام. فواجب على ساكنها أن يلتزم بشرائع الإسلام فيما له وعليه، فمن عمل فيها كبيرة فقد أساء الجوار وحقت عليه اللعنة والوعيد الشديد.

وتقدمت أحاديث في الكلام على تحريم المدينة^(١)

فمنها حديث علي رضي الله عنه قوله عليه الصلاة والسلام
{من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله
والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف}.

وحديث أنس: {فمن أحدث فيها حدثاً، ثم قال: هذه
شديدة؛ من أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة
والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً.

(١) تقدم ص ١١ وما بعدها.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {المدينة حرم فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف} (١).

قال في عمدة القاري (٢) قوله: {من أحدث فيها} أي عمل فيها عملاً مخالفاً للكتاب والسنة. وقوله: {حدثاً} هو الأمر الحادث المُنكر الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنّة. قوله: {فعليه لعنة الله الخ} هذا وعيد شديد لمن ارتكب في المدينة محرماً.

وُثقل عن القاضي عياض أن العلماء استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم {فعليه لعنة الله} على أن ذلك من الكبائر؛ لأن اللعنة لا تكون إلا في كبيرة. وقال العيني اللعنة هنا الحرمان من الجنة (٣).

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٣٧١).

(٢) عمدة القاري: ٤١٧/٨.

(٣) شرح مسلم للنووي: ١٤١/٩.

وقال النووي^(١): قالوا والمراد باللعن هنا العذاب الذي يستحقه على ذنبه والطرده عن الجنة أول الأمر، وليست هي كلجنة الكفار الذين يبعدون من رحمة الله تعالى كل الابعاد، والله أعلم.

الصرف، والعدل. نقل النووي^(٢) عن القاضي عياض عن المازري قال اختلفوا في تفسيرهما: ف قيل الصرف الفريضة والعدل النافلة، وقيل العكس. وقيل الصرف التوبة والعدل الفدية.

فهنيئاً لمن أحسن الجوار في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدى حقوقها، وصلى في مسجده عليه الصلاة والسلام وصبر على ما يجده من منغصات ومكدرات وصلحت نيته واحتسب أجره على ربه، يشفع له الشافع المشفق صلى الله عليه وسلم ويشهد له مع مشاركة المؤمنين في الشفاعات الأخرى، ومع مشاركة الناس في الشفاعة العامة الكبرى.

(١) شرح مسلم للنووي: ١٤١/٩.

(٢) المصدر السابق.

التحذير من الظلم في المدينة

المدينة حرمٌ مفضّله؛ يأمن فيها الطير والوحش والأشجار، ومقتضى ذلك أن سكانها يكونون في أمان وهدوء واستقرار لا يُراعون ولا يزعجون ولا يُخانون ولا يُغدرون ولا يُنفرون، وقد ورد وعيد شديد لمن كاد لأهل المدينة أو أرادهم بسوء بدون حق؛ فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: { لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء } متفق عليه واللفظ للبخاري. وعند مسلم { من أراد أهل المدينة بسوء } (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال: أبو القاسم صلى الله عليه وسلم من أراد أهل هذه البلدة بسوء يعني المدينة أذابه الله كما يذوب الملح في الماء (٢).

(١) صحيح البخاري: رقم (١٨٧٧)، صحيح مسلم: رقم (١٣٨٧).

(٢) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٨٦).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء^(١).

وروى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن أميراً من أمراء الفتنة قدم المدينة، وكان قد ذهب بصّر جابر فقيلاً: لجابر لو تنحيت عنه، فخرج يمشي بين ابنيه، فانكب فقال تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ابناه أو أحدهما يا أبتاه وكيف أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مات فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبي^(٢).

ورواه ابن حبان مختصراً قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أخاف أهل المدينة أخافه الله^(٣).

(١) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٦٣) (٤٦٠).

(٢) عزاه المنذري لأحمد وقال رجاله رجال الصحيح الترغيب والترهيب

.٢٣٢/٢

(٣) المصدر السابق.

وقال في الترغيب والترهيب^(١) وعن عباده بن الصامت رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل رواه الطبراني في الأوسط والكبير واسناده جيد.

وروى النسائي والطبراني عن السائب مثله.

قال النووي رحمه الله^(٢) الزيادة التي في حديث سعد عند مسلم (في النار) تدفع اشكال الأحاديث التي لم تذكر فيها هذه الزيادة. وتبين أن هذا حكمه في الآخرة، قال: وقد يكون المراد به من أراد بها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كفى المسلمون أمره واطمحل كيده كما يضمحل الرصاص في النار، قال: وقد يكون في اللفظ تأخير وتقديم أي أذابه الله ذوب الرصاص في النار، ويكون ذلك لمن أرادها في الدنيا

(١) عزاه المنذري لأحمد وقال رجاله رجال الصحيح الترغيب والترهيب

.٢٣٢/٢

(٢) شرح مسلم للنووي: ١٣٨/٩ عن القاضي عياض.

فلا يمهله الله ولا يمكن له سلطاناً بل يذهبه عن قرب. مثل مسلم بن عقبة فإنه هلك في مُنصرفه عنها، وهلك مرسله يزيد على أثر ذلك وغيرهما. قال: وقيل قد يكون المراد من كادها اغتيالاً أو غِرّة في غفلة فلا يتم له أمره.

وقال النووي^(١) يحتمل أن المراد من أرادها غازياً مُغيراً عليها.

والمعنى أن الله تعالى استجابة لدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم وإكراماً له ولجيرانه حفظ أهل المدينة من كل أذى ووقاهم شر الأشرار ورد كيدهم في نحورهم فلا يمكر بهم أحد ولا يحاربهم أحد ظلماً وطغياناً وتكبراً واستعلاءً إلا انتقم الله منه، ولم يمكنه من نيل مراده، بل يسلط الله عليه الأعداء. وينزل الرعب في قلبه. ويستحق أن يطرد من الجنة ابتداءً حتى يطهر ويمحص.

(١) شرح مسلم للنووي ١٥٧/٩.

فضل الصلاة في المسجد النبوي وموجز عن

الزيادات

الصلاة هي عمود الإسلام، وهي الصلة بين العبد ربه، تشمل على تعظيم الله وتقديسه وتنزيهه وتلاوة كلامه ومناجاته والخضوع له والتضرع إليه وطلب الحاجات منه، والحث على حمده والثناء عليه، والاعتراف له بالإحسان والكمال. فهي الركن الثاني من أركان الإسلام وهي أول ما فرض من شعائر الدين بعد الشهادتين. تَلَقَّى أَمْرَهَا نَبِينَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ عَرَجَ بِهِ دُونَ وَاسِطَةِ الْمَلَكِ. فَأُولَ مَا فَرَضَتْ خَمْسِينَ صَلَاةً، وَمَا زَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرِاجِعُ بِهِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ الرَّحْمَةَ بِأَمْتِهِ وَالتَّخْفِيفَ، حَتَّى جَعَلَتْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، وَتَعَدَّلَ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي ثَوَابِهَا. وَمَلَكَانَتَهَا عِنْدَ اللَّهِ، اشْتَرَطَتْ لَهَا الطَّهَارَةَ مِنَ الْإِحْدَاثِ وَالْإِنْجَاسِ، وَجَعَلَتْ لَهَا أَوْقَاتَ مَعْلُومَةٍ مَوْزَعَةٍ عَلَى الزَّمَنِ، فِي أَوْقَاتٍ يَنَاسِبُ فِيهَا الْإِتِّصَالُ بِاللَّهِ، وَلَا تَتَعَارَضُ مَعَ مَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَلَبَ مَعَاشَهُمْ فَمَنْ حَفِظَهَا وَحَافِظَ عَلَيْهَا

حفظ دينه وأقام اسلامه، ومن ضيعها فهو لما سواها من شعائر الاسلام أشد إهمالاً وضيعاً. فهي الفارق بين الكفر والإيمان، فتجب المواظبة عليها في أوقاتها على أي حال كانت قياماً وعوداً وعلى جنب، وفي حال الخوف والقتال والمسايقة بحسب الاستطاعة والامكانيات.

فإذا اطمأن المسلمون وكانوا مقيمين؛ شُرِعَ للرجال أدؤها في المساجد ((في بُيُوتِ أَدْنَ اللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ)) (١) في جماعة؛ لأن الصلاة لها تأثير اجتماعي في حياة الفرد والجماعة وفي السلوك، وهذه المساجد فضّل بعضها على بعض لاعتبارات تختص بها؛ ومنها شد الرحال ومعادلة الصلوات. وتنقسم في ذلك أربعة أقسام:

١- المسجد الحرام الصلاة فيه بمائة ألف صلاة. ويجوز شد الرحال إليه.

٢- مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف. والصلاة فيه بألف صلاة وتشد الرحال إليه.

(١) سورة النور آية: رقم ٣٦.

٣- المسجد الأقصى. والصلاة فيه بخمسائة صلاة وتشد الرحال إليه.

٤- بقية المساجد في الأرض كلها درجة واحد فلا تشد لها الرحال والصلاة فيها بصلاة واحدة وإن حصل في بعضها فضيلة وزيادة أجر مثل مسجد قباء فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من صلى فيه كان له كأجر عمرة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخرج إليه أحياناً راكباً وأحياناً ماشياً فيصلّي فيه ركعتين، لكن لا تشد إليه الرحال المأذون فيه للمساجد الثلاثة، ولم تعادل الصلاة فيه بالمساجد الثلاثة. ومثل الأقدم والأكثر جماعة. ومثل فضيلة الصف الأول وميمنة الصف فهي بخلاف المساجد الثلاثة، والصلاة في المسجد تفضل الصلاة في الحي أو الرّحل بخمس وعشرون درجة والحسنة بعشر أمثالها، فليس هذا مما نحن فيه.

والفائدة من هذا التقسيم تظهر فيما إذا نذر مسلم أن يصلّي في واحد من هذه المساجد فماذا يعمل؟

فإذا نذر الصلاة في المسجد الحرام لم تجزئه الصلاة في غيره
ولزمه شد الرحال إلى المسجد الحرام للوفاء بنذره، ولو نذر
الصلاة في المسجد النبوي حُيِّر بين الصلاة فيه، أو في
المسجد الحرام ويشد الرحل إلى ما شاء منهما للوفاء بنذره.
ولو نذر الصلاة في المسجد الأقصى كفاه الصلاة في المسجد
الحرام أو في المسجد النبوي ويشد الرحال إلى ما شاء من
المساجد الثلاثة للوفاء بنذره روى مسلم في صحيحه^(١) أن
امرأة اشتكت فقالت إن شفاني الله لأخرجن ولأصلين في
بيت المقدس فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج فجاءت ميمونة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم تسلم عليها فأخبرتها ذلك
فقالت أجلسي فكُلِّي ما صنعتِ وصلي في مسجد الرسول
صلى الله عليه وسلم فياني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول: صلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه من
المساجد، إلا مسجد الكعبة. وقال رجل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم إني نذرت إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في

(١) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٩٦).

بيت المقدس قال صل ههنا^(١). ولو نذر الصلاة في بقية المساجد كفاه الصلاة في أي مسجد كان، فيصلي في الأقرب إليه ولا فضيلة في شد الرحال إلى المسجد الذي قصده بالنذر، فلو نذر الصلاة في مسجد قباء مثلاً أجزأه أن يصلي في أي مسجد آخر من بقية المساجد، وفي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل بألف صلاة من مسجد قباء لما تقدم.

وفضيلة الصلاة في المساجد الثلاثة على ما تقدم تعني في الأجر والثواب؛ لا أنها تجزي عن عدد من الصلوات فلو كان شخص عليه فوائت عدّة فلا يكفي أن يصلي في إحدى المساجد الثلاثة المفضلة صلاة واحدة. فليُفطن لهذا.

بعد هذه المقدمة نعود للكلام في شأن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر عليه الصلاة والسلام إلى المدينة مكث في قباء أياماً ثم ركب ناقته، وكلما عرضت عليه إحدى قبائل الأنصار النزول عندهم؛ قال: دعوها فإنها

(١) رواه أبو داود في سننه: رقم (٣٣٠٥).

مأمورة، حتى بركت واستقرت في مكان مسجده صلى الله عليه وسلم وكان مبرداً ليتيمين من بني النجار فاشتراه عليه الصلاة والسلام، وأسس مسجده، وساعد في تأسيسه، وبني الحائط الذي يلي القبلة وحجر على بقية الجهات بالحجارة وجذوع النخل، وكانت القبلة إلى بيت المقدس فلما اشتد الحر سقفه بجريد النخل والإذخر، وجعلت أعمدته من جذوع النخل، واستؤذن في بنائه فقال عريش كعريش أخي موسى.

وبقيت القبلة إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه^(١) قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله تعالى: ((قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شِبْرًا بَدِئْتُ الْبَنِيَّةَ إِذْ يَأْتِيكُمُ الْبُرْجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ فَاصْبِرْ لَهُ هَذَا الْبُيُوتُ الْأَرْثَىٰ ذُنُوبَكُمْ وَأَنْتُمْ نَاعِلُونَ))

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٧٢٥٢).

وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)) (١) فتوجه صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة وتوجه إليها المسلمون.

فلما جاء المطر خرّ المسجد على المصلين فقال: الرسول صلى الله عليه وسلم لعُمر أكيّن الناس عن المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس. فبني باللبن وأعمدته كما كانت من جذوع النخل وسقفه من جريد النخل والإذخر وجعل على السقف شيء من الطين^(٢). وساعد صلى الله عليه وسلم في بناء المسجد.

وبقي شمالي المسجد مكشوفاً. وارتفاع السقوف تلحقه اليد^(٣)

وكان طول المسجد النبوي شمالاً وجنوباً سبعين ذراعاً، وعرضه شرقاً وغرباً ستين ذراعاً بذراع اليد^(٤) وبعد فتح خيبر

(١) سورة البقرة آية: رقم ١٤٤.

(٢) رواه البخاري في الصحيح معلقاً: انظر فتح الباري: ١/٥٣٩.

(٣) البخاري ١/٨٤.

(٤) التحفة اللطيفة ١/٤٥ زاد المعاد ٢/٦٢ وذكر ان طول المسجد مائة

ذراع وعرضه مثل ذلك أو أقل ولعله بعد فتح خيبر.

كثير المصلون وزاد فيه صلى الله عليه وسلم من الشمال والغرب. وكانت حجرات أمهات المؤمنين شرقي المسجد. ودور بعض الصحابة من الجهات الأخرى ولها أبواب على المسجد فأمر صلى الله عليه وسلم بسدها إلا باب أبي بكر رضي الله عنه. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختر ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ أن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختر ما عند الله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا، قال يا أبا بكر لا تبك إن أمّن الناس عليّ في صحبتته وماله أبو بكر ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لا اتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الاسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر^(١).

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٤٦٦).

وفي لفظ لا اتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الاسلام أفضل،
سدوا كل خووخه في هذا المسجد غير خووخه أبي بكر.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا خطب في مسجده أسند قفاه
إلى جذع نخله ركز هناك، واستقبل الناس، فلما كثر المصلون
أذن بعمل منبر ثلاث درجات من أعواد الطرفاء، فلما
خطب على المنبر الجديد حَنَّ الجذع لفقده رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولفقد الذكر والتنزيل، فضمه صلى الله عليه
وسلم كما يُسَكَّت الصبي حتى سكن كما في حديث
جابر^(١). وأخبر صلى الله عليه وسلم أن ما بين المنبر والحجرة
المطهرة روضة من رياض الجنة، وأن منبره عليه الصلاة
والسلام قوائمه في الجنة وعلى ترعة من حوضه^(٢).

فعن عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال: { ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض
الجنة } وروي ما بين حجرتي ومنبري، وما بين منبري وقبري،

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٣٥٨٥).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: ١٦٢/٩.

وهو تفسير ليبيتي وحجرتي والقولان متفقان؛ لأن قبره عليه الصلاة والسلام في حجرته والحجرة هي البيت. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال {ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي} (١).

وتوفي صلى الله عليه وسلم ومسجده مبني باللبن ومسقف بالجدوع والسعف والإذخر ومطيين، وأعمدته من جدوع النخل. وارتفاعه خمسة أذرع أو ستة تقريباً.

وفي خلافة أبي بكر الصديق اشتغل بالحروب ولم يزد في المسجد، لكن لما أكلت دابه الأرض الأعمدة وهي الجدوع. غيرها بمثلها.

وفي خلافة عمر رضي الله عنه كثر المصلون وطلبوا منه زيادة المسجد، فزاد فيه من الجنوب ومن الغرب والشمال وجعل أعمدته من الخشب، وقال رضي الله عنه لولا أني سمعت

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٨٨٨)، ومسلم في الصحيح: رقم (١٣٩١).

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينبغي أن يزداد في المسجد لما زدت فيه^(١). وقال رضي الله عنه لو انتهى إلى الجبانة لكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢).

وفي خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه زاد في المسجد من القبلة وزاد فيه من الغرب مقدار اسطوانة.

وفي ولاية الوليد بن عبد الملك أمر عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز رحمه الله بشراء الدور التي تحيط بالمسجد وتوسعته بها، فأدخل حجرات أمهات المؤمنين والدور الأخرى. وجعل بين الحجرة النبوية وبين جدار المسجد^(٣) ممراً كما هو مشاهد الآن. وحصل زيادات من بعض الولاة مثل المهدي العباسي، والسلطان أشرف قايتباي، وفي ولاية السلطان عبد الحميد العثماني أمر بتعمير المسجد كما هو

(١) وفاء الوفاء: ٨١/٢، ونسبه لأحمد.

(٢) إعلام المساجد للزركشي: ٢٤٧.

(٣) أي الشرق.

مشاهد في مقدمة المسجد باللون الأحمر، إلا أنها ترمم
وتصان وتجدد بويتها وكتابتها كل عام.

وفي عام ١٣٧٠هـ أمر الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل
سعود رحمه الله وليَّ عهده ابنه سعود بتوسعة المسجد النبوي
فنزعت ملكية البيوت المجاورة، وجعل حول المسجد شوارع
واسعة من أربع الجهات وأكملها الملك سعود في ولايته
والزيادة هي الموجودة الآن شمالي البناية العثمانية.

أما زيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز
آل سعود فهي تعبر عن نفسها، وتفصح عن قوّتها ومثانتها
وسعة رقعتها، ولم يسبق لها مثيل، مما يدل على العناية التامة
التي أولاهها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز
آل سعود لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجو ثوابها
وبرها عند الله، فأسأل الله أن يبني له بها قصوراً في الجنة.

مساحة الزيادة اثنان وثمانون ألف متر مربع، وبذلك أصبحت
مساحة أرض المسجد ثمانية وتسعين ألفاً ومائتين وستة
وعشرين متراً مربعاً. يتسع المسجد النبوي إذا انتهت توسعة

الملك فهد لأعداد كبيرة من المصلين في الأراضي وفي
السطوح، قدرها المهندس المسئول بحوالي ربع مليون أي
بمائتين وخمسين ألف مصلٍ، منها في السطوح تسعون ألف
مصلي والباقي في الأراضي.

والساحات التي حول المسجد ستكون صالحة للصلاة عند
الحاجة مثل الأعياد والمواسم، وتتسع لربع مليون مصلي بإذن
الله، فيكون المسجد والساحات تتسع لنصف مليون مع
الامام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الزيادات تأخذ حكم الأصل في الأحكام

إن مسجداً أسسه الصفوة المطهر صلى الله عليه وسلم على التقوى من أول يوم، وجعله مدرسة اسلامية تعلّم الهدى والنور، وتبلغ توجيهات الخالق تبارك وتعالى، وتنشر العدل والایمان، وتدعو إلى الواحد الديان. فمنه انطلقت الجيوش الإسلامية لتعليم البشر و لرفع الظلم وبسط العدل وتذكير البشر بمبادئهم وتعليمهم بمآلهم. لا شك أن هذه المدرسة الحممدية سيكون لها فضل ومميزات على كثير من المساجد كلها إلا المسجد الحرام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام^(١).

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١١٩٠)، ومسلم في الصحيح: رقم (١٣٩٤).

وعنه أيضاً قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره إلا المسجد
الحرام^(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال: صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف
صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام^(٢).

وعن ميمونه رضي الله عنها قالت من صلى في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم فإني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول: الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما
سواه إلا مسجد الكعبة^(٣).

بعد هذه الأحاديث ينبغي أن يعلم مفهوم الإشارة (في
مسجدي هذا) هل المراد به المسجد الذي كان في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم دون الزيادات أم أن المراد مسجد رسول

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١١٩٠)، ومسلم في الصحيح: رقم
(١٣٩٤).

(٢) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٩٥).

(٣) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٩٦).

الله صلى الله عليه وسلم بما طرأ عليه من زيادات هما قولان للعلماء، فصرح النووي رحمه الله في شرح مسلم أن التفضيل يختص بالمسجد الذي كان في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، أما المسجد الحرم فقال النووي رحمه الله بخلاف المسجد الحرام فإنه لا يختص بما كان دون باقية؛ لأن الكل يعمه اسم المسجد الحرام وذكر أحمد العيني في عمدة القاري^(١) رأي النووي ثم قال فإذا اجتمع الاسم والاشارة هل تغلب الاشارة أو الاسم، فيه خلاف فمال النووي إلى تغليب الاشارة^(٢).

وأما مذهبنا فإن الاسم يغلب الإشارة، فعلى ما رجحه العيني يعم التفضيل ما سمي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والزيادات تدخل في مسجد النبي، فهي تتبعه في التفضيل. ونقل الزركشي في أحكام المساجد قول النووي بأن الفضيلة مختصة بمسجد رسول الله الذي كان في حياته عليه الصلاة

(١) عمدة القاري شرح البخاري: ٦/٢٨٠، ٢٨١.

(٢) عمدة القاري شرح البخاري: ٦/٢٨١.

والسلام، وقال: ينبغي أن يحرص المصلي على الصلاة في
الموضع الذي كان في زمنه صلى الله عليه وسلم.
قال الزركشي بعد هذا: لكن ذهب غيره - أي غير النووي
- إلى أنه لو وسع ثبت له حكم هذه الفضيلة كما في
مسجد مكة^(١) إذا وسع فإن تلك الفضيلة ثابتة له. وقد ذكر
ابن النجار بسنده عن ابن عمر قال زاد عمر بن الخطاب في
المسجد قال لو زدنا فيه حتى بلغ الجبانة كان مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم.

وقال العلامة الشيخ أحمد بن تيمية رحمه الله^(٢): مسجده كان
أصغر مما هو اليوم وكذلك المسجد الحرام لكن زاد فيهما
الخلفاء الراشدون. ومن بعدهم وحكم الزيادة حكم المزيد في
جميع الأحكام، أما فتح الباري فنقل ما ذكره النووي وقال
بخلاف مسجد^(٣) مكة فإنه أي التفضيل يشمل جميع مكة،

(١) أحكام المساجد: ٢٤٧.

(٢) مجموع الفتاوى: ١٤٦/٢٦.

(٣) فتح الباري: ٦٦/٣.

بل صحح النووي إنه يعمم جميع الحرم. وقال في وفاء الوفا^(١)
بعد ذكر كلام النووي أن ابن فرحون ذكر أنه لم يخالف غير
النووي ثم نقل عن الطبري في كتابه الأحكام رجوع النووي
عن قوله الأول.

ويؤيد رجوع النووي عن القول الأول ما ذكره رحمه الله في^(٢)
المجموع حيث قال لكن إذا صلى في جماعة فالتقدم إلى
الصف الأول ثم الذي يليه ثم الذي يليه أفضل فعلى هذا إذا
صلى الامام في الزيادة الأمامية تكون الصلاة فيها أفضل مما
وراءها، والمسجد النبوي الشريف الأول شمال زيادة أمير
المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وهذا تصريح من الامام النووي
رحمه الله بأن الزيادة الجنوبية إذا صلى فيها الامام تكون
الصلاة في الصف الأول ثم الذي يليه أفضل من الصلاة في
بقية المسجد.

(١) وفاء الوفاء: ٣٥٧.

(٢) المجموع: ٢٧٧/٨.

ومما تقدم يظهر جلياً أن العلماء اتفقوا على أن الزيادات في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم تأخذ حكم المسجد في الأفضلية وفي مضاعفة أجر الصلاة ويؤيد ذلك ما يلي:-

١- قول أمير المؤمنين رضي الله عنه المتقدم لو بلغ الجبانة لكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٢- أقوال العلماء المتقدم ذكرها، ومنهم المحقق شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله.

٣- إجماع الصحابة على الصلاة في زيادة أميري المؤمنين عمر وعثمان رضي الله عنهما على أنها مسجد رسول الله وتبعهم من بعدهم على احتساب الأفضلية فيها.

٤- إجماع الأمة على أن الزيادات مثل الأصل تسمى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأخذ بقية الأحكام.

٥- اسم الإشارة يحتمل تخصيص البقعة كما ذكر النووي، ويحتمل شمول الزيادات؛ لدخولها في المسمى، وإنما احترز

بالإشارة عن بقية المساجد التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة وغيرها، فتخصيصه بالبقعة التي كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج إلى دليل.

٦- ما ذكره السمنهودي في وفاء الوفاء^(١) بأن النووي رجع عن قوله الأول ويؤيده ما ذكره النووي في المجموع.

وهنا مسألة هل التفضيل يشمل الفريضة والنافلة.

إذا تأملنا نص الحديث (صلاة) فإذا هي عامة لم تخصص نوعاً من الصلاة فهي عامة تشمل الفرض والنفل.

قال فتح الباري^(٢) واستدل به على تضعيف الصلاة مطلقاً في المسجدين، وتقدم النقل عن الطحاوي: أن ذلك مختص بالفرائض لقوله صلى الله عليه وسلم {أفضل صلاة المرء في

(١) وفاء الوفاء: ١/٣٥٧.

(٢) فتح الباري: ٣/٦٨.

بيته إلا المكتوبة^(١) وقال في عمدة القاري^(٢) واختلفوا هل يراد بالصلاة هنا الفرض أو هو عام في النقل والفرض. وإلى الأول ذهب الطحاوي وإلى الثاني ذهب مطرف المالكي. وقال النووي مذهبنا يعم الفرض والنقل. وقال في إعلام الساجد بأحكام المساجد^(٣) عن النووي أن صلاة النفل في البيت أفضل.

وقال النووي في شرح مسلم^(٤) واعلم أن مذهبنا أنه لا يختص هذا التفضيل بالصلاة في هذين المسجدين بالفريضة بل يعم الفرض والنفل جميعاً وبه قال: مطرف من أصحاب مالك، إلا الطحاوي فقال إنها تختص بالفريضة وهذا مخالف لا طلاق الأحاديث.

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (٦٩٨)، ومسلم في الصحيح: رقم (٧٨١).

(٢) عمدة القاري: ٦/٢٨٢.

(٣) إعلام الساجد: ٢٤٦.

(٤) شرح مسلم للنووي: ٩/١٦٤.

ومسألة أخرى هل التفضيل والتضعيف يفيد تكثير الأجر
والثواب دون الاجزاء؟

قال العيني في شرح البخاري^(١) ثم إن فضل هذه الصلاة في
هذه المساجد يرجع إلى الثواب ولا يتعدى ذلك إلى الاجزاء
عن الفوائت، حتى لو كان عليه صلاتان فصلى في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تجز عنهما وهذا لا خلاف
فيه.

وقال في الفتح^(٢) ثم أن التضعيف المذكور يرجع إلى الثواب
ولا يتعدى إلى الاجزاء باتفاق العلماء كما نقله النووي
وغيره.

وقال النووي^(٣) قال العلماء وهذا فيما يرجع إلى الثواب
فثواب صلاة فيه يزيد على ثواب ألف صلاة فيما سواه، ولا
يتعدى ذلك إلى الاجزاء عن الفوائت، حتى لو كان عليه

(١) عمدة القاري شرح البخاري: ٦/٢٨٢.

(٢) فتح الباري شرح البخاري: ٣/٦٨.

(٣) شرح مسلم للنووي: ٩/١٦٥.

صلاتان فصلى في مسجد المدينة صلاة لم تجزئه عنهما وهذا
لا خلاف فيه. والله أعلم.

وقال الزركشي في أحكام المساجد^(١) قال النووي وهذا
التفضيل يعم الفرض والنفل كمكة هكذا قال في شرح
مسلم، وذكر في شرح المهدب: والتحقيق أن صلاة النفل في
بيته أفضل.

(١) أحكام المساجد: ٢٤٦.

شد الرحال إلى المسجد النبوي للصلاة فيه

لما كان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم له مكانة عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم يضاعف فيه أجر الصلاة، وفيه روضة من رياض الجنة. ومنبره على ترعة من الحوض المورود، وهو مدرسة الاسلام الأولى، ومنطلق الدعوة؛ فلا بد أن يتشوق المسلم إلى هذا المسجد ويعزم على زيارته والصلاة فيه، ثم زيارة الصفوة المطهر محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبيه، فأبيح شد الرحال إلى المسجد النبوي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: { لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى }^(١) وفي رواية لمسلم قال: { إنما يسافر إلى ثلاثة

(١) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١١٨٩)، ومسلم في الصحيح: رقم (١٣٩٧).

مساجد مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد إيليا^(١). وعند
أبي داود {مسجدي هذا}.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال: {لا تشد الرحال إلا ثلاثة مساجد
مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى}^(٢).

وقد صلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في المساجد الثلاثة
كلها إماماً. أما في الأقصى فليلة الإسراء، وأما في مكة
والمدينة فمعلومٌ، وتظهر فائدة تحديد شد الرحال فيما إذا نذر
المسلم الصلاة في أحد المساجد على ما تقدم تفصيله^(٣).

هذا ما تيسر والحمد لله أولاً وآخراً. وأسأله أن ينفعنا بما
علمنا، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه، وأن يصلح شأن
المسلمين وأن يردهم إلى كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم، ونسأله حسن المقام في المدينة حتى الممات في صحة

(١) رواه مسلم في الصحيح: رقم (١٣٩٧) (٥١٣).

(٢) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٨٦٤) (١٦٨).

(٣) راجع ص ٤٢.

وهناء، ونسأله رزقاً حلالاً مباركاً، ونسأله حسن الأدب في
جوار نبيه محمد بن عبد الله القرشي عليه الصلاة والسلام،
وحسن الأدب مع إخواننا في هذه البلد المقدسة، ونسأله أن
يثبت قلوبنا على طاعته، وأن يوفقنا للعمل الذي يقربنا منه
ونستحق به شفاعة نبينا وشهادته. وصلى الله على عبده
ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله وتوفيقه ...

عبد الله بن محمد بن زاحم

١٤١١/٧/١٩ هـ

ترخيص إدارة المطبوعات

بالمدينة المنورة

رقم ٣/٩/٩٩١

في ١٤١١/١٢/١٨

فضل

الصلوة على النبي

صلى الله عليه وسلم

لفضيلة

الشيخ عبد الله بن محمد بن زاحم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

ورئيس المحاكم الشرعية

بالمدينة المنورة

الصلاة والسلام على النبي

صلى الله عليه وسلم^(١)

((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))^(٢)، أثنى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الملأ الأعلى وأمر باحترامه وإظهار تعظيمه وإجلاله في الملأ الأدنى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شرف هذه الأمة لشرف نبيها، وكرمها تكريماً لرسولها صلى الله عليه وسلم.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضل الأنبياء وأشرف المرسلين، وسيد الأولين والآخرين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت آل إبراهيم إنك حميد مجيد، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

(١) ألقيت في ٢٤/١٠/١٤١٠ هـ.

(٢) سورة الفاتحة آية: ٢.

أما بعد: فيا لها من مرتبة عالية ويا له من تعظيم وتشريف لا يدرك كنهه تتردد به جنبات الوجود، وتتجاوب له أرجاء الكون، ويشوق له ما بين السماء والأرض، بثناء الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) (١).

ويا له من تكريم لهذه الأمة من خالقها تبارك وتعالى، إذ قرن صلاتها على نبيها بصلاة الله جل شأنه عليه.

وأين صلاة البشر من صلاة الله؟

وأين دعاؤهم من ثناء الله؟

وإنما هي رحمة الله وفضله على هذه الأمة ليشيها على صلاتها وعلى سلامها على نبيها صلى الله عليه وسلم.

فمن صلى عليه مرة صلى الله عليه عشر صلوات.

(١) سورة الأحزاب آية: ٥٦.

قال البخاري في التفسير تعليقا: قال أبو العافية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء^(١).

قال ابن عباس: يصلون: يركون.

وقال ابن كثير في تفسيره: والمقصود في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيّه عنده في الملائكة الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر الله تعالى العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من العالمين العلوي والسفلي^(٢).

وقال القرطبي: هذه الآية شرف بها رسوله عليه الصلاة والسلام في حياته وموته وذكر منزلته منه، وطهر بها سوء فعل من استصحب من جهته فكرة سوء، أو في أمر زوجته. والصلاة من الله رحمته ورضوانه، ومن الملائكة الدعاء والاستغفار، ومن الأمة الدعاء والتعظيم لأمره^(٣).

(١) رواه البخاري تعليقا، صحيح البخاري: كتاب التفسير باب رقم ١٠.

(٢) التفسير العظيم للإمام ابن كثير: ٤٩٤/٥، ٤٩٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٢/١٤.

ولم يترك الله نبيه تحت منّة أحد من أمتة بالصلاة عليه، فلقد عوضهم بصلاة النبي عليهم كما قال تعالى: ((وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)) (١).

والصلاة على النبي المطهر صلى الله عليه وسلم من أفضل العبادات وأعظمها وأحبها إلى الله تعالى وتقدس، فقد تولاهما هو وملائكته، ثم أمر بها المؤمنين، ولم يُعط بقية العبادات ما أعطاهما من العناية والتفضيل.

فالدعاء يُحجب بين السماء والأرض حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاءت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم رُفِع الدعاء.

قال بعض العلماء: من سأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي وصلى الله عليه وسلم، ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي وصلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى يقبل الصلاتين، وهو أكرم من أن يرد ما بينهما (٢).

(١) سورة التوبة آية ١٠٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير: ٣/٨١٨ .

وقال النووي رحمه الله: يستحب لكاتب الحديث، إذا مر ذكر الله أن يكتب عز وجل أو تعالى أو سبحانه وتعالى أو جل ذكره، وما أشبه ذلك، وكذلك يكتب عند ذكر النبي عليه الصلاة والسلام (صلى الله عليه وسلم) بكاملها لا يرمز إليها، ولا يقتصر على بعضها، ويكتب ذلك وإن لم يكن مكتوباً في الأصل الذي ينقل منه، فإن هذا ليس رواية وإنما هو دعاء.

وينبغي للقارئ أن يقرأ كل ما ذكرناه وإن لم يكن مذكوراً في الأصل الذي يقرأ منه، ولا يسأم في تكرار ذلك، ومن أغفل هذا فقد حرم خيراً عظيماً وفوت فضلاً جسيماً.

وكفى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فضلاً وترغيباً في الإكثار منها ما روي بسند جيد عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتاني آت من ربي عز وجل فقال: من صل عليك من أمتك صلاة

كتب الله له بها عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع
له عشر درجات ورد عليه مثلها^(١)

وتشرع الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهيد
الأخير، وقبل الدعاء بعده، وعند ذكر اسمه صلى الله عليه
وسلم، وعند دخول المسجد
والخروج منه.

- وفي خطبتي الجمعة.
- وبعد قنوت الوتر.
- وإذا سمع الأذان وعند الانتهاء منه، ويسأل له الوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة.
- وعند زيار قبره صلى الله عليه وسلم.
- وفي افتتاح الكتاب.
- وفي يوم الجمعة وليلته.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: رقم (١٦٣٩٩).

وقد وردت آثار متعددة بصفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، منها صحيح ومنها سقيم.

والذي يجب على المسلم أن ينظر في دينه نظره في ماله، فكما أنه لا يأخذ في البيع ثمناً معيياً، وإنما يختار الصحيح الجيد، فكذلك لا يأخذ من الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما صح سنده، لئلا يدخل في حيز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبينما هو يطلب الفضل إذا به أصاب النقص، بل ربما أصاب الخسران المبين.

ومن أصح ما ورد حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم صفة الصلاة عليه، فقال: {قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد}.^(١)

(١) رواه مسلم في الصحيح: رقم (٤٠٦).

وعند مسلم أيضاً من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه مثله^(١).

وعن أبي حميد الساعدي : { اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد }^(٢).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها كانت تقول كلما مرت بالحجون.

(صلى الله على رسوله محمد وسلم لقد نزلنا معه ههنا ونحن يومئذ خفاف)^(٣).

وقال الزمخشري: أي قولوا: الصلاة على الرسول والسلام.

وقد استمر عمل المسلمين من أهل العلم والفضل أن يقولوا في الصلاة والتسليم على النبي (صلى الله عليه وسلم) في غير

(١) صحيح مسلم: رقم (٤٠٥).

(٢) رواه مسلم في الصحيح: رقم (٤٠٧).

(٣) رواه البخاري في الصحيح: رقم (١٧٩٦).

التشهد، وأما في التشهد فقد وقفوا على النص الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم^(١).

وأما الصيغ المحدثه التي تقال وتكتب في أورد مشايخ الطرق المبتدعة مما لم يرد به نص عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا عن سلف الأمة، فإنما هي صيغ مبدعة محدثة وشر الأمور محدثاتها.

واختلف العلماء في وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وفي خارجها.

فأما خارج الصلاة : فيرى بعض العلماء أنها واجبة وجوب السنة المؤكدة التي لا يسع تركها، ولا يغفلها إلا من لا خير فيه، ويرى بعضهم أنها واجبة، واختلفوا في حال وجوبها فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره صلى الله عليه وسلم للأحاديث الدالة على ذلك، مثل حديث جابر: {شقي عبد ذكرت عنده ولم يصل عليك} ^(٢).

(١) راجع ص ٧٢.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد: رقم (٦٤٤).

وحديث كعب بن عجرة: {بَعُدْ عَبْدَ ذَكَرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصَلْ عَلَيْكَ} (١).

وحديثي أبي هريرة: {رَغِمَ أَنْفُ أَمْرِي ذَكَرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصَلْ عَلَيْكَ} (٢).

{وَمَنْ ذَكَرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يَصَلْ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَايَعِدُهُ اللَّهُ} (٣).

ومن من قال: تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره صلى الله عليه وسلم، كما قيل في سجود التلاوة وتشميت العاطس.

والذي يقتضيه الاحتياط وبه يحصل تكثير الأجر والثواب : الصلاة عليه كلما مر ذكر اسمه عليه الصلاة والسلام ولو تكرر في المجلس كثيراً، وفي الأحوال التي تقدم ذكرها (٤).

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد: رقم (٦٤٤).

(٢) رواه الترمذي في سننه: رقم (٣٥٤٥)، وابن خزيمة في الصحيح: رقم (١٨٨٨).

(٣) رواه الطبراني في الكبير: رقم (٢٠٢٢).

(٤) راجع ص ٧١.

وأما في الصلاة: فروي عن الشافعي وأحمد وإسحاق رحمهم الله: (أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في التشهد الأخير، فمن تركها عمداً أو سهواً بطلت صلاته) وعليه العمل عند أهل نجد. وكذلك في خطبتي الجمعة لا تصحان إلا بالصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم عند الحنابلة ومنهم أهل نجد.

والجمهور على أنها من سنن الصلاة فمن تركها أجزأته صلاته ومنهم من قال مع الاساءة.

وأما السلام فهو يدل على الكرامة والتلطف، والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم إكرامه وتعظيمه، وهو معلوم لدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما شرع في التشهد، ومن المتعارف بينهم في السلام، لذلك لم يسألوا عنه كما سألوا عن الصلاة.

وقد تضمنت الآية الكريمة الأمر بالصلاة والتسليم على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فينبغي الجمع بينهما، فلا تفرد الصلاة وحدها فلا يقال: صلى الله عليه، ولا يفرد السلام

وحده، فلا يقال: عليه السلام، فإن ذلك خلاف نص الآية
وخلاف الأولى والكمال.

((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) (١).

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا)) (٢)

اللهم بارك لنا في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات
والذكر الحكيم.

.....

(١) سورة الأحزاب آية: ٥٦.

(٢) سورة النساء آية: ١.

(الخطبة الثانية)

((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))^(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله.

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فكما تشرع الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما ذكر اسمه، فكذلك تشرع كتابتها في المصنفات والكتب والرسائل كلما كتب اسمه صلى الله عليه وسلم، يكتبها كاملة فلا يكفي الرمز إليها بحرف (ص)، ولا برمزٍ منحوت مثل (صلعم) وما أشنعه من نحت، بل هو نحس، ولا أراها إلا من دسائس اليهود والنصارى من عمال المطابع، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وهل يجوز الصلاة على غير الأنبياء؟

(١) سورة الفاتحة آية: ٢.

أما إذا كانوا تبعاً للأنبياء فلا خلاف في جوازه كما تقدم في الأحاديث:

اللهم صل على محمد وآله محمد، وآله وأزواجه وذريته.

وإنما الخلاف فيما إذا انفرد غير الأنبياء بالصلاة، فالجمهور على أنه لا يجوز؛ لأن هذا صار شعاراً للأنبياء إذا ذكروا، فلا يلحق بهم غيرهم، فلا يقال أبو بكر صلى الله عليه وسلم ولا عمر ولا عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، وإن كان المعنى صحيحاً، كما لا يقال: محمد عز وجل وإن كان عزيزاً جليلاً؛ لأن عز وجل من شعار ذكر الله تبارك وتعالى.

وأما ما ورد من الكتاب والسنة كقوله سبحانه وتعالى: ((وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ))^(١).

وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على آل أبي أوفى، وعلى امرأة جابر وزوجها، وما أشبه ذلك، فحملة الجمهور على الدعاء. والصلاة على الأنبياء لإظهار القدر والتعظيم والتكريم.

(١) سورة التوبة آية: ١٠٣.

ولأن الصلاة على غير الأنبياء من شعار أهل الأهواء فلا ينبغي الاقتداء بهم.

وأما الترضي فهو شعار لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والترحم شعار دعاء الميت عند ذكر اسمه، والاستغفار لعموم المسلمين.

فلو جاء إنسان من الرياض وقال: يسلم عليك فلان، فلو قلت: اللهم أغفر له وارحمه، ما كان لائقاً حسب شيوع الاستعمال؛ لأنها دعاء للميت، لكن لو قلت: غفر الله لي وله لكان مناسباً.

وأما السلام فهو في معنى الصلاة في كل ما تقدم، فلا يدعى به للغائب، ولا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: أبو بكر عليه السلام، ولا غيره من الصحابة فضلاً عن بعدهم.

قال الحافظ بن كثير: وقد غلب في عبارة كثير من نساخ الكتب يفردون علياً رضي الله عنه دون سائر الصحابة بقولهم: عليه السلام، أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه

صحيحاً، لكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة فإن ذلك من باب التعظيم والتكريم.

((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)) (١).

اللهم صل وسلم وبارك وأنعم على عبدك ورسولك محمد صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، وأرض اللهم عن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن بقية أصحاب نبيك أجمعين، وزوجاته أمهات المؤمنين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم بمنك وإحسانك يا أرحم الراحمين، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين واهد ضال المسلمين.

(١) سورة الأحزاب الآية: ٤٥-٤٦.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري - طبعة الفجالة وطبعة الحلبي بمصر.
- صحيح مسلم - طبعة إحياء التراث - بيروت.
- شرح النووي على مسلم - الطبعة المصرية.
- فتح الباري شرح البخاري - طبعة السلفية - مصر.
- عمدة القاري شرح البخاري - طبعة الحلبي - مصر.
- جامع الأصول - طبعة السنة المحمدية.
- إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي - طبعة الأوقاف المصرية.
- وفاء الوفا - للسمنهودي - طبعة دار الكتب العلمية.
- المجموع للنووي - طبعة الامام.
- الترغيب والترهيب للمنذري - طبعة دار نشر الثقافة.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة - للسخاوي - طبعة دار نشر الثقافة - مصر.
- زاد المعاد لابن القيم - طبعة مؤسسة الرسالة - بيروت.
- الفتاوي لابن تيمية - مطبعة الحكومة السعودية بمكة.
- مسند الامام أحمد الطبعة الأولى عام ١٣٨٩هـ.

○ مجمع الزوائد للهيثمى الطبعة الثالثة عام ١٤٠٢ هـ.